



جامعة سوهاج - كلية الآثار - الفرقة الثانية - قسم الآثار المصرية

فن المتاحف - 216

المتحف الوطني للآثار - ليدن - هولندا

د. إبراهيم ساويرس

فرشة:

اسمه باللغة الهولندية Rijksmuseum van Oudheden هو المتحف الوطني الوحيد المخصص للآثار بالمملكة الهولندية حالياً، ويقع بمدينة ليدن الشهيرة. بدأ المتحف بمجموعة من الآثار تتبع جامعة ليدن، ومازال حتى اليوم له ارتباط وثيق بكلية الآثار بليدن، وقسم المصريات بكلية الإنسانيات بجامعة ليدن والذي أشرف بأني أحد خريجيه. يتخذ المتحف من نفسه مركزاً وطنياً للآثار في هولندا، ويركز جل اهتمامه على:

1- مصر القديمة.

2- الشرق الأدنى القديم.

3- العالم الكلاسيكي القديم (اليونان والرومان).

4- آثار وتاريخ هولندا منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الوسطى.

وتتوزع الآثار المعروضة في المتحف على الأربعة موضوعات المذكورة عالياً، وأحياناً قليلة نجد معروضات يمكن تصنيفها تحت تصنيفات أخرى. يتوسط الدور الأرضي للمتحف، تماماً في مواجهة البوابة، وأول ما يراه الزائر، معبد طافا، المعبد المصري الذي أهدي للملكة الهولندية نظير جهودها في إنقاذ آثار النوبة.



## تاريخ المعروضات:

تبدأ القصة عام 1734م. في هذا العام توفي جامع التحف الهولندي Gerard van Papenbroek, خيرارد فان بابنبروك، وقد ترك خلفه عدد 150 قطعة أثرية أورثها بالكامل للجامعة ليدن كان أغلبها تماثيل يونانية ورومانية، وقد نشرت في كتالوج بواسطة أحد أساتذة جامعة ليدن سنة 1746. ظلت القطع المائة والخمسون في حوزة الجامعة بلا اهتمام كاف مدة حوالي نصف قرن حتى عينت الجامعة لها "أمين" يعرف باسم Dr. Caspar Reuvens, د. كاسبر ريوفنز، وهو أول أستاذ كرسي متخصص في الآثار في العالم. اهتم البروفيسور ريوفنز بالمجموعة وأضاف لها آثاراً أخرى، وفي العام 1825 قررت إدارة متحف أمستردام الوطني نقل ما لديها من آثار إلى جامعة ليدن ونقلتها لها مجموعة آثار بالفعل، ونقلت مجموعة أخرى من الآثار لليدن حوالي العام 1844.



اعتمد نمو مجموعة آثار ليدن على جمع الآثار بطريقتين؛ الأولى: انتقال كل المجموعة الأثرية بالمملكة الهولندية إلى ليدن، سواء كانت هذه المجموعات ملك أفراد أو مؤسسات، والثانية: شراء وجمع الآثار القديمة من بلادها الأصلية سواء بالعلاقات الدبلوماسية الطيبة أو حتى عن طريق الشراء.

أول مجموعة ضُمت إلى مجموعة ليدن تعرف باسم مجموعة روتيرز Rottiers Collection، روتيرز كان كولونياً متقاعدًا، وقد جمع عدد كبير من المنحوتات اليونانية القديمة أثناء عمله في أثينا. عرضت مجموعته للبيع، وقام بتممينها البروفيسور ريوفنز، وبيعت لليدن بحوالي 12 ألف جيلدر. في عام 1822 عرض روتيرز مجموعة آثار أخرى على الحكومة الهولندية، وقد اشترت فعلا لصالح مجموعة ليدن، وقد اتضح فيما بعد أن بعض منها آثارًا مقلدة، وتكشف مع الوقت أن الكولونيل روتيرز لما أتاه المال الكثير من أول مجموعة باعها صار هو وابنه يقلدون الآثار ويدعون

أنهم حفروا وأخرجوها بأنفسهم، في زمن كانت صنعة الحفائر الأثرية غير مفهومة جيداً كما هي اليوم.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، بل أقنع الكولونيل روتيرز الحكومة الهولندية أن تمويل له رحلة طويلة إلى الشرق الأوسط لكي يجمع لها ما تيسر من تحف، وقد كلفت الحكومة البروفيسور رويفنز أن يساعد الرجل علمياً، ويمده بما يحتاج من معلومات. استنفذ الكولونيل كل حيله وأكاذيبه في تلك الرحلة حتى أن الحكومة حذرتة من شراء أو تقليد الآثار. قرر الكولونيل أخيراً أن يحفر بنفسه في عدة أماكن، وأن يرسل رسومات لمكتشفاته إلى هولندا، وقد كانت نتائجه مخيبة للأمل. لكن هذا لم يمنع روتيرز أن يعود من رحلته ببعض الآثار لم تلفت انتباه رويفنز، وذهبت سيرة الكولونيل إلى النسيان.

شارك في زيادة أعداد الآثار المحفوظة في ليدن Jean Emile Humbert جان اميل همبرت. جمع همبرت مجموعته الأولى من آثار تونس وباعها للحكومة الهولندية، ثم سافر ثانية ليجمع غيرها. ظل همبرت في تونس من 1822 حتى 1824 وكان مدعوماً علمياً من البروفيسور رويفنز، ومالياً من الحكومة الهولندية، وفي تلك الفترة شحن همبرت لليدن ثمانية تماثيل ضخمة لم تزل تحتل أهمية قصوى بين كل مقتنيات المتحف. سافر همبرت لإيطاليا وجمع آثاراً من حضارة الاتروسك باعها لليدن بحوالي 30 ألف جيلدر. لاحقاً أضاف همبرت للمجموعة الليدنية مجموعة آثار مصرية ضخمة في مقابل حوالي 150 ألف جيلدر.

توفي البروفيسور رويفنز عام 1830 وقد خلف من بعده مجموعة مقتنيات أثرية ضخمة ومتميزة تصلح لتكون نواة لأي متحف كبير ومهم في العالم. ولا ننس أن نذكر أنه بمرور الوقت وفي اواخر سني حياة رويفنز كان الدعم الحكومي لجمع التحف يتراجع بسبب ظروف سياسية معقدة ليس محل شرحها هنا. تولى المهمة بعده تلميذه Conradus Leemans كونرادوس ليمانس.

بدأ ليمانس مهامه وفرصة الحصول على آثار بطريقة الشراء من المال الحكومي معدومة، لكنه لم يفقد الأمل، وقرر السير في عدة اتجاهات، أهمها استعمال النفوذ الهولندي والعلاقات الدبلوماسية الهولندية في الدول المعنية للحصول على آثار، كذلك توظيف نفوذ سفراء ودبلوماسي هولندا في تلك المهمة. جنى ليمانس ثمار صبره وذكائه، وحصل من إيطاليا وحدها على مائة قطعة أثرية. كان الرجل

متفوق علمياً وبدأ في نشر كتالوجات آثاره، خاصة المجموعة المصرية، في العام 1839، واستعان  
بآخرين لنشر المقتنيات التي لم يكن له خبرة بها.

## تاريخ المتحف:

كان إعداد بناء مناسب لحفظ مجموعة المقتنيات الليدنية، وتدشين أول متحف آثار وطني  
هولندي، أمر جليل. كان النقاش متسعاً يشمل الجامعة والحكومة والبروفيسور رويفنز المسئول عن  
المجموعة وأطراف أخرى عديدة. كان الأمر له جوانب عدة من حيث الموقع، طرق العرض، التكلفة،  
الإدارة .... إلخ. كان القرار الأول هو نقل الآثار من الجامعة إلى الحديقة النباتية التابعة للجامعة،  
لكن رطوبة الجو الدائمة في هولندا سببت أتلانف جديفة للمعروضات في الهواء الطلق.

ما بين الأعوام 1821-1824 كان الحل الأمثل هو أن تُعرض تلك المقتنيات في جناح صغير  
من أجنحة متحف التاريخ الطبيعي الهولندي، ومع نمو المقتنيات سمح لرويفنز بمساحة أكبر في  
المتحف. لكن الرجل كان يفكر في مبنى مستقل يتيح له قاعة محاضرات، امكانيات ترميم  
المعروضات، وغيرها من المستلزمات الضرورية لأي متحف، لكن التكلفة كانت باهظة جدا.

عُرض على رويفنز جزء من مبنى الأكاديمية، المبنى الرئيسي للجامعة، كما عرض عليه  
استخدام إحدى كنائس العصور الوسطى الأثرية لعرض المقتنيات، لكنه رفض. عُرض عليه بناء  
متحف مخصوص لكن في مدينة أخرى كأستردام أو لاهاي، لكنه تمسك بليدن. كان رأيه  
يتلخص في وجود الآثار إلى جانب المتخصصين في الآثار بجامعة ليدن. بعد وفاة المخلص رويفنز،  
تولى تلميذه الكفاء ليمانس المسئولية وظل مخلصاً لأراء أستاذه. في نوفمبر 1835 اشترت الجامعة  
مبنى ضخم يعود للقرن الثامن عشر، وكان الرأي الأخير هو تخصيصه ليكون متحفاً للآثار. منذ  
اللحظة الأولى لسماعه الخبر، بدأ ليمانس العمل في تصميم المتحف من الداخل حتى كان الافتتاح  
الرسمي في أغسطس 1838.

مع بدايات القرن العشرين تغيرت سياسات المتحف، لم يعد الهدف جمع الآثار، أو زيادة  
المقتنيات فحسب، بل صارت الدراسة ذات أولوية، وجذب الزوار من كل الأعمار وتعليمهم شيء من  
حضارات الماض أمر ذا قيمة. وصار للمتحف بعثة حفائر أثرية، وصار يفتني القطع التي يكتشفها

فحسب. زادت آثار المتحف بالمعبد الذي تلقاه كهدية في أواخر الستينيات، وكذلك ببعض الإرث الذي يؤول للمتحف من جامعي التحف الأغنياء، أما شراء آثار جديدة فقد تراجع جدًا احترامًا لقوانين محلية في الدول التي تعد المصدر الأساسي للمقتنيات الأثرية.

صار المتحف مؤسسة كبرى في ذاته، ولم يعد يصلح كونه مؤسسة تابعة لجامعة ليدن. في العام 1971 انفصل المتحف عن الجامعة، وصار يدار مباشرة من قبل الحكومة الهولندية، وقد أفاده ذلك في التمويلات الضخمة التي تلقاها مباشرة من الميزانيات الحكومية خاصة في العام 1995.



في عام 1996 تم ترميم المبنى الكائن اليوم في شارع رابنبورخ الشهير بقلب ليدن، والمطل على أجمل قنواته بالكامل. تم تغيير أسقف المتحف لإستعمال تقنيات جدية في العرض والنقل، وعندما انتهى مشروع التجديد عام 2000 كان المتحف قد اتسع بمساحة 2م600 ، كما استعمل نظام جديد لتكييف الهواء، والإضاءة وغيرها.

### ما الذي يميز متحف ليدن:

في حالة ما قورن متحف ليدن الوطني للآثار بأمثاله في أوروبا كالمتحف البريطاني بلندن، أو متحف اللوفر بباريس، أو حتى بمتحف من المتاحف الأمريكية الحديثة، فإن متحف ليدن

يتضاءل أمامهم وربما يجتفي خجلا إذا ما قورن بهم من حيث المساحة أو المبنى أو عدد القطع المعروضة. فما السحر إذن في متحف ليدن الذي يجعله ذا اسم منير بين متاحف الدنيا قاطبة.

متحف ليدن ليس مكانًا لعرض المقتنيات الأثرية فحسب، بل هو مؤسسة علمية ترفيهية معتبرة. تقدم خدمات متعددة لكل الفئات ولكل الأعمار. فهي تجمع ما بين مكتبة ضخمة لفائدة الباحثين، تسهيل مهام الدارسين بوجود عاملين على أعلى مستوى من الكفاءة العلمية، إلى جوار السماح للأطفال للتعامل مع الأثر تحت الإشراف.

لكن ما يميز متحف ليدن عن غيره هو إدارته المحترفة الذكية التي تعرف كيف تروج لمتحفها ترويجًا ضخمًا بتكلفة لا تذكر. تقوم إدارة المتحف بإقامة المعارض المؤقتة باستمرار. وتقوم باستخدام أحدث تقنيات الدنيا في العرض، بل تشارك ذاتها في صناعة وتطوير هذه التقنيات. فمثلًا قامت الإدارة مرة باستنساخ وإعادة بناء مقبرة الملكة نفرتاري الشهيرة داخل المتحف ضمن فعاليات معرض ملكات النيل، في وقت كانت المقبرة ذاتها مغلقة بمصر. كما قامت باستدعاء باحث ألماني كان يدرس صناعة الجعة (البيرة) المصرية بإحدى جامعات ألمانيا، وأمدته بكل ما طلب حتى صنع جعة مصرية قديمة حقيقية، وأتت بفريق طبي وعلمي لفحصها، وأقامت احتفالية ضخمة جذبت مائة ألف سائح من هولندا وغيرها لمتابعة الحدث وتذوق الجعة المصرية القديمة.

تسمح إدارة متحف ليدن لإدارة مهرجان ليدن للأفلام الروائية الطويلة باستخدام قاعات المتحف للعرض، لتجذب جمهور المراهقين للمتحف، وتقوم بنفسها بعرض فيلم عن مصر القديمة أمام المعبد المصري المحفوظ لديهم، بل وبتقنيات معينة تدمج الفيلم المعروض بالمعبد الحقيقي. تُغير الإدارة سيناريو عرض القطع من حين للآخر، تستضيف قطعًا من متاحف أخرى، وتصدر كتبًا عن موضوعات حضارية بعينها قد تكون مثيرة للجدل مثل السحر في مصر القديمة.

وهكذا نتعلم أن الآثار لا تدير نفسها، ولا يكفي امتلاكك لثلث آثار الدنيا أن يأتيك السائحون من كل فج عميق. القصة كلها تكمن في الإدارة وفي الترويج، فقد حضر الكاتب بنفسه افتتاح معرض ملكات النيل الذي استمر مدة 3 أشهر في شتاء عام 2016. ومعروف أن شتاء هولندا قارس وصعب، ولا يزورها الكثيرون في ذلك الموسم، وقد كان الرهان أن يحقق المعرض عدد زوار مناسب يقدر ببضعة آلاف وأن يأتي بتكلفة تصميمه المرتفعة. ولكن المفجأة كانت أنه قبل انتهاء

التسعين يوماً، المخصصة للمعرض دعينا للاحتفال ببيع التذكرة رقم مائة ألف، وقد كان ثمنها ثمانية يوروهات، أي أن دخل المعرض (وليس المتحف كله) في تسعين يوماً بلغ 800 ألف يورو من التذاكر فقط بخلاف مكتبة بيع الكتب، وبيت الهدايا، والمطعم، وبيع المشروبات وغيرها. صحيح أن المتحف -أي متحف- هو مؤسسة ثقافية وطنية غير هادفة للربح، لكن الربح المالي دليل نجاح الإدارة وكذا استثمار مهم لتطوير المتحف مستقبلاً بعيداً عن الميزانيات الحكومية.

## مراجع للاستزادة:

عن تاريخ المتحف

- R. B. Halbertsma, Scholars, Travellers, and Trade: The Pioneer Years of the National Museum of Antiquities in Leiden, 1818-1840, Routledge, 2003.

عن معرض ملكات النيل

- <http://www.rmo.nl/english/exhibitions/archive/queens-of-the-nile>

عن معرض السحر المصري

- <http://www.rmo.nl/english/exhibitions/archive/egyptian-magic>